العلاقات الاجتماعية للمراهقين وتكنولوجيات الاتصال الحديثة: جيل رقمي وعلاقات تتجاوز المكان والزمان

Adolescent social relationships and new communication technologies: digital generation and interaction transcending space and time

Les relations sociales des adolescents et nouvelles technologies de la communication: génération numérique et interaction transcendant l'espace et le temps

ط. د. سهيلة حر ايرية

جامعة الجزائر 2

تاريخ الإرسال: 26-09-2020 - تاريخ القبول: 14-10-2020 - تاريخ النشر: 06-11-2022

ملخص

تطرق هذا المقال إلى التأثير التراكمي للتطورات الهائلة لتكنولوجيات الاتصال منذ النصف الثاني من القرن العشرين من خلال اندماج ظاهرة التفجر المعلوماتي وتطور وسائل الاتصال وتعدد أساليبه وأشكاله واستخدام الحاسب الآلي والأقمار الصناعية، مما أدى إلى ظهور خدمات الاتصال الحديثة التي اقتحمت المجتمع في مختلف مناحي الحياة وأثرت في بنيته الاجتماعية وزاحمت مؤسسات التنشئة الاجتماعية في أدوارها. كما أنها أصبحت عنصرا أساسيا في حياة الفرد بمختلف مراحله العمرية وفي تفاعلاته واتصاله بمحيطه إلى درجة يصعب الاستغناء عنها. فهي إما مصدر للرسائل أو وسيلة تنقل هذه الرسائل أو وسيطا في التفاعل والعلاقات الاجتماعية مثل الهاتف المحمول الذي يعد أحدث هذه المبتكرات من حيث عمره الزمني لكنه تفوق عليها جميعا من حيث سرعة الانتشار، ليصبح أوسع وأكثر الاختراعات انتشارا منذ فجر البشرية راسمة بذلك معالم الجيل الرقمي الذي يسعى المقال لرصد تأثير هذه الوسائط على العلاقات الاجتماعية خلال مرحلة المراهقة.

الكلمات الدالة: العلاقات الاجتماعية؛ المراهقة؛ تكنولوجيات الاتصال الحديثة؛ الجيل الرقمي.

Abstract

This article discusses the cumulative effects of the tremendous developments in communication technologies since the second half of the twentieth century through the phenomenon of the information explosion and the development of communication means, as well as the multiplicity of methods and forms and use of computers and satellites. This has led to the emergence of modern communication services that have invaded society in different areas of life, influenced its social

structure and competed with institutions of socialization in their roles. They have also become an essential element in the life of the individual at different age stages and indispensible in his interactions and communication with his environment. They are a source of messages, a means of conveying these messages or a mediator in interaction and social relations. An example is the mobile phone, which is the latest of these innovations chronological speaking, but it has surpassed them all in terms of speed of deployment. Therefore, this article seeks to consider the impact of these technologies on social relationships in adolescence.

Keywords: social relations; adolescence; new communication technologies; digital generation

Résumé

Cet article aborde l'impact des développements des technologies de communication à travers l'explosion de l'information, le développement des moyens de communication et la multiplication des méthodes et des formes d'utilisation des ordinateurs et des satellites sur l'émergence de services de communication modernes qui ont pénétré la société dans ses différents domaines et influencé sa structure sociale et ont rivalisé ses institutions de socialisation dans l'accomplissement de leurs rôles. Elles sont devenues un élément essentiel dans la vie de l'individu à différents stades de l'âge et dans ses interactions et sa communication avec son environnement. Elles sont désormais, une source de messages, un moyen de véhiculer les messages ou un médiateur dans l'interaction et les relations sociales comme en témoigne l'expansion de l'utilisation du téléphone mobile, qui est la dernière de ces innovations en termes d'âge chronologique. Cet article cherche à suivre l'impact de ces technologies sur les relations sociales à l'adolescence.

Mots-clés: relations sociales; adolescence; nouvelles technologies de la communication; génération numérique

مقدمة

تشهد البشرية منذ منتصف القرن الماضي تطورات تكنولوجية متسارعة خاصة في مجال المعلومات والاتصالات، وبلغ الأمر درجة أصبح فيها الأفراد ينشؤون وهم محاطون بمختلف الوسائط التكنولوجية، التي يتعاظم دورها في حياتهم باستمرار وأصبح يتداخل مع دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية مثل الأسرة والمدرسة. كما تؤثر على علاقة الفرد بمحيطه وبالعلاقات الاجتماعية التي يبنيها خلال مراحل حياته. ولعل المراهقة أكثر تلك المراحل العمرية حرجا في حياة الإنسان، كما أنها من أكثرها جذبا لاهتمام الباحثين خاصة ما يتعلق بالنمو الاجتماعي للمراهق وتطور سلوكه الاجتماعي ومختلف العوامل المؤثرة فيه.

ورغم ان العلاقات الاجتماعية مصطلح جوهري في علم الاجتماع فإن المراهقة مصطلح يتقاطع بين عدة تخصصات منها علم الاجتماع، علم النفس، الأنثروبولوجيا والطب وغيرها، نظرا للتغيرات المعقدة التي يعيشها المراهق في هذه المرحلة مما يستوجب الإلمام بكل هذه الجوانب لتفسير أي ظاهرة تتعلق بهذه المرحلة العمرية، وللسبب ذاته تعددت المقاربات التي تتناول العلاقات الاجتماعية للمراهقين في ظل البيئة الرقمية.

يتمثل محور اهتمامنا في هذا المقال ما أفرزته التغيرات التي أحدثتها البيئة الرقمية على العلاقات الاجتماعية للمراهقين من خلال تداخلها في تنشئتهم وتفاعلاتهم مع محيطهم من خلال الاستخدامات المختلفة لتكنولوجيات الاتصال الحديثة، فهي إما مصدر للرسائل أو وسيلة تنقل هذه الرسائل أو وسيطا في التفاعل والعلاقات الاجتماعية.

ونسعى للإحاطة بهذا الموضوع من خلال طرح التساؤل التالي:

ماهي التغيرات الجوهرية التي أحدثتها تكنولوجيات الاتصال الحديثة على العلاقات الاجتماعية للمراهقين؟

1. حوصلة نقدية للأدبيات

1.1 تكنولوجيات الاتصال من منظور اجتماعي

منذ فجر الإنسانية، كان نشوء وتطوّر الحياة على الأرض مقيدا دائما بعاملين مادّيّين متوافقين بدرجة كبيرة: الأول هو التجاور الفيزيقي، وهو شرط مسبق للكائنات الحية لبدء العلاقات الاجتماعية، والحفاظ عليها. الثاني هو الإقامة في أماكن مستقرة، وكانت ضرورية لتنمية وتطوير أشكال وأنماط اتصال أكثر تعقيدا وتعاونا.

وانطلاقا من هذا المنظور فإن المعنى السوسيولوجي في واقع تكنولوجيات الاتصال اليوم، هو تفويض الناس بالمشاركة في الاتصالات والتفاعلات بدون قيود الشرطيين الأساسيين، وهما التجاور الفيزيقي، والثبات والاستقرار المكاني. واستجابة لهذه الحاجات الاجتماعية الراسخة بشدة في النفس البشرية، ليس بمستغرب أن ينتشر هذه التكنولوجيات في كل إنحاء العالم بسرعة مثيرة ولاهثة (صالح، ص69-75).

يرى العديد من الباحثين أن هناك أسباب مقنعة للافتراض أن الهاتف المحمول مرغوب في كلّ المجتمعات والثّقافات على حد سواء وتحت كافة الشروط الثقافيّة، الاجتماعيّة

والاقتصاديّة. لكنّ في نفس الوقت، هذا التّحرر من القيود في قبول المحمـــول كان على حساب الاتّصالات الثّنائيّة القائمة على المواجهة، مع زيادة الشّكـــوك عن الحالات الموضوعية للظّروف البيئيّة للرفاق المتّصلين.

فمنذ أواخر القرن التاسع عشر حتى السنوات الحالية، لقي استخدام الهاتف اهتماما ضئيلا جدا من علوم الاجتماع والأعلام، ولم تبذل جهود كبيرة لدراسة ومعرفة تأثيراته العديدة على المجالات المتنوعة للحياة الاجتماعية، ولم تطور نظرية اجتماعية متكاملة فيما يتعلق بوظائف ونتائج الهاتف عامة، لذلك ليس بمستغرب أن يثير الهاتف المحمول حماسا أقل، من قبل الباحثين والمفكرين مقارنة بالاهتمام الذي أثارته مختلف تكنولوجيا الاتصال وخاصة الإنترنت (صالح، 2005، ص69-75).

وفي المنظور النّظري لمانويل كاستيلز (Manuel Castells)، وهو عالم اجتماع مشهور في جامعة بيريكلى من أصل أسباني، اهتم في السنوات الأخيرة بالآثار الاجتماعية لثورة المعلومات، وقال:"ان الإنترنت أعطيت مكانة ضخمة كمبتكر وإبداع جديد، ولها حساباتها وأبعادها وتداعياتها، بينما أهملت التسهيلات التي قدمها الهاتف المحمول في مجملها". ومع أن هذه الرؤية تتجاهل حقائق أساسية تظهرها المقارنة بين المحمول من جهة وتكنولوجيات الكمبيوتر الشخصي والإنترنت من جهة أخرى، حيث نجد الهاتف المحمول، هذه الأيام يستعمل من قبل طبقة أوسع من السكان حول العالم، وله تأثيراته الاجتماعية على كثير من مستعمليه، وأنهم جميعا جاهزون ومستعدون أن ينفقوا مبالغ مالية كبيرة على فواتير شّهريّة، أكثر من تلك التي ينفقونها على خدمات الكمبيوتر ومزوّدات الإنترنت (بدوي، 1999، ص82).

كما يذهب باحثون إلى أن الموجة الأولى من أدوات الاتصال المحمولة، والتي على وشك الانتهاء، سوف تؤدى إلى تحولات جوهرية بالتأكيد في فهم الأفراد لأنفسهم وللعالم، وبالتالي سوف تغير الطريقة التي سيعاد بها بناء العالم. (عوده، 2004، ص360-366).

2.1 النمو الاجتماعي للمراهق وتطور سلوكه الاجتماعي

تعرف إليزابيث هيرلوك (Hurlock) المراهقة بأنها "مرحلة تمتد من النضج الجنسي إلى العمر الذي يتحقق فيه الاستقلال عن سلطة الكبار وعليه فهي عملية بيولوجية في بدايتها واجتماعية في نهايتها (زهران، 1990، ص320). حيث يعني مصطلح المراهقة انتقال من

مرحلة الطفولة إلى الرشد والنضج (أبو جادو،2000، ص67)، تمتد من سن 13إلى 19 تقريبا أو قبل ذلك بعام أو عامين أو بعد ذلك بعام أو عامين، أي بين سن11 و21 سنة، أي أن هناك اختلافا في تحديد مداها الزمني كمرحلة عامة أوفي تحديد مداها بين البنات والذكور (شكشك،2010، ص47)، إذ تبدأ هذه المرحلة بالبلوغ الجنسي وتنتهي بوصول الطفل أو الشاب إلى النضج في مظاهره المختلفة.

يقصد بالنمو الاجتماعي في مرحلة المراهقة مجموعة التغيرات التي تطرأ على المراهق من حيث اكتسابه لآداب السلوك وتشربه للعادات والتقاليد والأعراف السائدة في ثقافته وقولبة سلوكه بمقتضيات الأوضاع والقوالب الاجتماعية والاتجاهات المنتشرة في بيئته. وكذا مجموعة الخبرات والمهارات الاجتماعية التي تتبدى في سلوك المراهق نتيجة لعملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية. ولعل أهم المطالب الاجتماعية في مرحلة المراهقة تحقيق التكيف الاجتماعي. (همشري، 2003، ص124-125)

وتبعا لذلك فإن النمو الاجتماعي أحد أهم التغيرات التي يشهدها المراهق من حيث اكتسابه لآداب السلوك وتشربه للعادات والتقاليد والأعراف السائدة في ثقافته وقولبة سلوكه بمقتضيات الأوضاع والقوالب الاجتماعية والاتجاهات المنتشرة في بيئته، إضافة إلى مجموعة الخبرات والمهارات الاجتماعية التي تتبدى في سلوك المراهق نتيجة لعملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية. ولعل أهم الحاجات الاجتماعية في مرحلة المراهقة هي تحقيق التكيف الاجتماعي (مكاوي،2009، ص563-572).

ونتيجة للتغيرات الجسمية والعقلية والانفعالية التي تطرأ على الشخص فإنه يلاحظ اتساع نطاق الاتصال الاجتماعي وتزداد مشاركته للآخرين في الخبرات والمشاعر والاتجاهات والأفكار، وتستمر كذلك عملية التنشئة الاجتماعية والتطبيع ويستمر تعلم وتشرب القيم والمعايير الاجتماعية من الأشخاص المهمين في حياته مثل الوالدين والمدرسين والقادة من الرفاق ومن الثقافة العامة التي يعيش فيها، كما يظهر على المراهق اهتمامه بالمظهر الشخصي ويبدو ذلك واضحاً في اختيار ملابسه والاهتمام بالألوان الزاهية اللافتة للنظر والتفصيلات الحديثة والاهتمام بالحلي وبالموضة ومتابعتها بالنسبة للإناث (مكاوي، 2009،ص 264).

ويلاحظ على المراهق نزعة نحو الاستقلال الاجتماعي والانتقال من الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النفس. وكذلك ميله إلى الزعامة والتوحد مع شخصيات خارج نطاق البيئة المباشرة مثل شخصيات الأبطال، وينمو الوعي الاجتماعي والمسؤولية الاجتماعية، كما يزداد وعيه بالمكانة الاجتماعية والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المراهق فيستمر في التآلف والتكتل في جماعات الأصدقاء والخضوع لها، وتتسع دائرة التفاعل الاجتماعي والميل إلى الجنس الآخر (مكاوي، 2009، ص262 - 263).

كما يلاحظ عليه النفور والتمرد والسخرية والتعصب والمنافسة، وضعف القدرة على فهم وجهة نظر الكبار وضيق صدره للنصيحة وتعتبر المنافسة إحدى مظاهر العلاقات الاجتماعية في هذه المرحلة فيقارن المراهق نفسه دائماً برفاقه ويحاول أن يلحق بهم ليكون مثلهم أو يتفوق عليهم.

2 . عرض النتائج

1.2 تكنولوجيات الاتصال والحاجات الاجتماعية للمراهق: مقاربة نظرية للاستخدام

لطالما كانت ظاهرة تبني المستحدثات التكنولوجية محل اهتمام الباحثين في شتى المجالات لكن تبني تكنولوجيات الاتصال كانت ولاتزال موضوعا للمتابعة والبحث خاصة في ظل تطورها السريع وانتشارها الواسع لتمتد للفئات العمرية الأصغر كالمراهقين والأطفال، وقد برزت عدة نظريات تفسر الظاهرة خاصة من منطلق الاستخدام.

فنظرية انتشار المستحدثات وصاحبها روجرز(Rogers) تعتمد على أسس اتصالية، فانتشار المستحدثات من الأفكار والتكنولوجيا بين الأفراد يتم من خلال الحملات الإعلامية إضافة إلى الاتصال الشخصي الذي يساهم في نشر هذه الأفكار والمستحدثات، وصحيح أن تطبيق هذه النظرية في بدايته ارتبط بالمجتمعات الريفية لاسيما في مجال الزراعة بهدف تقييم وتطوير الخدمات الزراعية وتطوير سبل الاتصال بالمزارعين في الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن هذه النظرية حظيت باهتمام العـديد من الدراسات والتطبيقات البحثية في مجال علم الاجتماع ودراسات الإعلام في أمريكا.

وتعتبر نظرية انتشار المستحدثات تبنى الأفراد للجديد من الأفكار والتكنولوجيا في ضوء مجموعة من العوامل أهمها العوامل الاجتماعية وتشمل نوع المجتمع، تأثير الأسرة،

وتأثير جماعات الأصدقاء والعضوية في إحدى الهيئات أو المنظمات، والعوامل الديموغرافية وتشمل تأثير السن والتعليم والنوع والمستوى الاقتصادي، والعوامل الثقافية وتشمل تأثير القيم والاتجاهات على عملية التبني، وعوامل أخرى تتصل بخصائص الفكرة أو المستحدث وتشمل التكلفة الاقتصادية للمستحدث، وسماته من حيث البساطة والتعقيد، وقابلية المستحدث للتجريب(بدوي، 2011،ص 120- 121).

ويفترض مدخل الاستخدامات والإشباعات أن حاجات الأفراد يمكن إشباعها عن طريق وسائل الاتصال ومصادر أخرى غير اتصالية، حيث يتوقع الأفراد أن تحقق لهم المصادر الإعلامية وغير الإعلامية إشباعا لهذه الحاجات (العدوي، 2010،ص36-37)، وفي ضوء هذا الافتراض يقوم مدخل الإشباعات على مجموعة فرضيات حددها كاتز(Katz) وبلوميلر(Blomiler) وجورفتش (Gorfitch) تشمل اتصاف الجمهور بالإيجابية في التعامل مع وسائل الإعلام، واستخدام الجمهور لوسائل الاتصال ليشبع لديهم الاحتياجات التي يرغبون في إشباعها، وتتنافس وسائل الاتصال مع غيرها من المصادر في محاولة إشباع هذه الحاجات.

تُعنى نظرية الاستخدامات والإشباعات في الأساس بجمهور أو مستخدمي وسائل الاتصال التي تشبع رغباته وتلبي حاجته الكامنة في داخله ومعنى ذلك أن الجمهور ليس سلبياً يقبل كل ما تعرضه عليه وسائل الاتصال، بل يمتلك غاية محددة من تعرضه يسعى إلى تحقيقها (Thomas w Valente & Johns Hopkins,1993, p 30). وأعضاء الجمهور هنا بدرجة ما باحثون نشطون عن المضمون الذي يبدو أكثر إشباعاً لهم، وكلما كان مضمون معين قادراً على تلبية احتياجات الأفراد كلما زادت نسبة اختيارهم له (مكاوي، 2009، ص 253).

وضع كاتز وزملاؤه من علماء الاتصال خمس فرضيات رئيسية تتعلق بكيفية استخدام الأفراد لوسائل الاتصال والإشباعات التي يسعون إلى تحقيقها من وراء هذا الاستخدام وهي:

- إن أعضاء الجمهور مشاركون فعالون في عملية الاتصال الجماهيري، ويستخدمون وسائل الاتصال لتحقيق أهداف مقصودة تلبي توقعاتهم.
- يعتبر استخدام وسائل الاتصال عن الحاجات التي يدركها أعضاء الجمهور، ويتحكم في ذلك عوامل الفروق الفردية.

- إن أعضاء الجمهور هم الذين يختارون الرسائل والمضمون الذي يشبع حاجاتهم، وأن وسائل الإعلام تتنافس مع مصادر الإشباع الأخرى في تلبية هذه الحاجات.
- إن أفراد الجمهور لديهم القدرة على تحديد دوافع تعرضهم وحاجاتهم التي يسعون إلى تلبيتها، لذا فهم يختارون الوسائل المناسبة لإشباع هذه الحاجات.
- يمكن الاستدلال على المعايير الثقافية السائدة في المجتمع من خلال استخدام الجمهور لوسائل الاتصال، وليس من خلال محتواها فقط.

وتسعى نظرية الاستخدامات والإشباعات من خلال الفروض السابقة إلى تحقيق الأهداف التالية (Thomas Valente & Johns Hopkins,1993, p 30):

- الكشف عن كيفية استخدام الأفراد لوسائل الاتصال.
- الكشف عن دوافع الاستخدام لوسيلة معينة.
- الفهم العميق لعملية الاتصال من خلال النتائج التي يتم التوصل إليها.
- الكشف عن "الإشباعات المطلوبة" التي يسعى الفرد إلى تلبيتها من خلال استخدامه لوسائل الاتصال والإشباعات المختلفة" من وراء هذا الاستخدام.
- الكشف عن العلاقات المتبادلة بين "دوافع الاستخدام" و"أنماط التعرض" لوسائل الاتصال والإشباعات الناتجة عن ذلك.
- معرفة دور المتغيرات الوسيطة من حيث مدى تأثيرها في كل من استخدامات الوسائل وإشباعاتها.

اما نظرية الحتمية التكنولوجية فتقترح النظر إلى التكنولوجيا كعامل خارجي للعلاقات الاجتماعية، وكعامل يحدد توجه وتطور المجتمع في المستقبل، والحتمية كفكرة هي وجود عامل يتخطى السيطرة البشرية. وتعتبر نظرية الحتمية التكنولوجية التطورات التكنولوجية المحور المركزي لتقدم وتغير المجتمع. حيث تزعمها الباحثان البارزان في تفسير الحضارة الإنسانية من خلال وسائل الاتصال إنيس (Innis) وماكلوهان (Mcluhan).

ادعى إنيس الذي بحث احتكار المعرفة أن السيطرة على وسيلة الاتصال الأساسية في كل مجتمع هي أداة لتحقيق السيطرة السياسية والاجتماعية)، لذلك كان لكل وسيلة اتصال جديدة تظهر على مر التاريخ احتمال أن تغير وسيلة احتكار المعرفة القديمة. ويستند

تفسير إنيس إلى مفاهيم متعلقة بالزمان والمكان، فوسائل الاتصال التي تركز على المكان تمتد إلى مساحات جغرافية بينما وسائل الاتصال التي تركز على الزمان تكون أكثر ديمومة وبقاء عبر الزمن. وبالتالي يفسر إنيس ظهور واختفاء الأنظمة في التاريخ البشري بناء على وسائل الاتصال التي تظهر

كما اعتقد ماكلوهان أن لكل فترة زمنية أنماط تفكير خاصة بها، ومميزات مختلفة من الاتصال ذات تأثير على البناء الاجتماعي بمجمله، وتؤكد نظرية الحتمية التكنولوجية قوة وسائل الاتصال في التأثير على بلورة الفرد والمجتمع بأسره، فتكنولوجيا الاتصال تحدد الرسائل وتؤثر على المجتمع وعلى البشرية وعلى مدار التاريخ. وبناء على هذه النظرية فإنه في كل فترة زمنية تقوم وسيلة اتصال سائدة ومسيطرة بالتنحي جانبا عند تطور وظهور وسيلة اتصال وإعلام جديدة (عبد الفتاح، 2011، ص 122)

استندت أبحاث إنيس ومكلوهان إلى تحليل تاريخي وليس إلى مراقبة في ظروف مخبرية، وركز مكلوهان على الميكرو- الفرد وادعى أن وسائل الاتصال تؤثر عليه وتقول فرضيته أن وسائل الاتصال هي امتداد لحواسنا، عندما لا يكون بمقدورنا الوصول (التواصل مع الآخر) دون أي وسيط أو وسيلة للاتصال الشخصي. فبالتالي نضطر إلى الاستعانة بوسائل الاتصال كامتداد للحواس البشرية وذلك من اجل المحافظة على الاتصال بيننا (العدوي، 2010، ص36-37)، أما عند استعمال وسائل الاتصال الجماهيري نحن لا نستعمل جزء من حواسنا التي كانت شريكة في عملية الاتصال سابقا كما هو حال حاسة اللمس والشم فلذلك يضطر البشر إلى تطوير حاسة أخرى تساعد على التواصل بمساعدة تكنولوجيا الاتصال أي أن استعمال وسائل اتصال يحدد أنماط السلوك في المجتمع (مكاوي، السيد، 2004، ص 239).

2.2 تكنولوجيات الاتصال والعلاقات الاجتماعية للمراهق: مقاربة نظرية للتأثير

تعتبر فترة المراهقة من أشد الفترات خطورة وحرجا في حياة الإنسان بصفة عامة، وفي تربيته وتنشئته الاجتماعية وتوافقه الاجتماعي خاصة، حيث تعد هذه المرحلة جسر عبور يتوسط الطفولة والنضج يتم فيه بلورة شخصية الفرد الراشد (اللبان، 2011، ص 60). ويرى علم الاجتماع أنها مرحلة انتقالية من دور اجتماعي إلى آخر، يفقد فيها

الفرد دوره كطفل ولم يحصل بعد على دوره كراشد، وبما أن الدور الاجتماعي لمركز ما يحدد الحقوق والواجبات التي ترتبط بهذا المركز ويساعد تنظيم توقعات الأفراد الآخرين الذين يتعاملون معه (اللبان، 2011، ص 157)، وهذا السلوك محكوم بالتقاليد والأعراف والقيم التي يمليها المجتمع. لكن الفرد في هذه المرحلة لا هو طفل ولا هو راشد. وفي خضم هذا التحول الطفري يصبح النمو الاجتماعي على درجة بالغة الأهمية حيث تتجلى مظاهره في زيادة النزعة إلى الاستقلال عن السلطة المنزلية والتحرر والعتق من الروابط الأسرية والميل إلى تكوين علاقات مع جماعة الرفاق. وهي تعبر في مجملها عن الحاجات الاجتماعية لهذه المرحلة التي قد تكون متناقضة في بعض الأحيان ما دامت المراهقة فترة توتر شديد وعدم استقرار (شكشك،2010، ص 47).

وقد يكون سبب ذلك الضغوط الاجتماعية الكثيرة التي تحيط بالمراهق، ويظن أنها تعيق حريته وحركته وانطلاقته في الحياة. فهو لا يفهم معنى الحرية المنضبطة، لكن معنى الحرية عنده أن يفعل ما يشاء وقت ما يريد.

إذا كان عدد من علماء النفس يرى أن المراهقة أزمة تنشأ من تعقد الحياة العصرية (عبد الهادي،2013، ص153) فقد ذهب عدد من الباحثين إلى أن الجيل الحالي من المراهقين جيل رقمي النشأة (عبد الهادي،2013، ص245)، حيث ينشأ ويترعرع محاطا بوسائل تكنولوجية من التلفزيون إلى الانترنت وألعاب الفيديو وصولا إلى الهاتف المحمول، ويجدون التكنولوجيات الجديدة جزءا لا يتجزأ من الحياة، توفر لهم الملجأ المناسب لحاجياتهم الاستطلاعية، بمختلف طرق عرضها ومضامينها، وتساعده على توسيع علاقاته الاجتماعية وممارسة التوجه نحو خصوصيات حياته أو لشؤونه الخاصة، وحتى في تحقيق رغبته في التمرد أو المنافسة ولو افتراضيا. ومن هذا المنطلق كان لظاهرة تفاعل المراهقين مع تكنولوجيا الاتصال موضوعا خصبا تبعا لخصوصية المرحلة من جهة ونظرا لاختراق هذه التكنولوجيا جميع مناحي الحياة بشكل لافت.

فقد أكدت الأبحاث أن الشباب والمراهقين هم أكثر فئات المجتمع استخداما للتكنولوجيا بصفة عامة وتكنولوجيا الاتصال على وجه الخصوص، بل والأكثر تكيفا معها ومواكبة لمستجدّاتها. ويؤكد علماء الاجتماع أن تكنولوجيا الاتصالات قد أثرت تأثيراً بالغاً على الشباب المراهقين، لكنهم اختلفوا حول نوع التأثيرات التي يمكن أن تحدثها هذه

التكنولوجيا على العلاقات الاجتماعية، حيث يرى بعضهم فيها العديد من الإيجابيات ويري البعض الأخر العديد من السلبيات(زهران، 1990، ص265)، وفي خضم هذا الجدل ظهرت مدرستان أو مدخـلان متناقضان إحداهما المدرسة المتفائلة أو المدخل الإيجابي الذي طوره والتر Walther عام 1996 وشرح فيه العلاقة الاجتماعية التبادلية التي تنشأ نتيجة استخدام التكنولوجيا الحديثة، حيث يرى أن تكنولوجيا الاتصال وتطبيقاتها المختلفة تساعد الشباب على تنظيم أسلوب حياتهم وطريقة تفكيرهم، كما تعزز التماسك الاجتماعي وتطور أنماط التفاعل الاجتماعي من خلال تدعيم التفاعل مع كافة المستويات لدى الشباب والمراهقين (زهران، 1990، ص270).

والمدرسة الثانية هي المدرسة المتشائمة أو المدخل السلبي، ويرى أن هذه التكنولوجيا قد تؤدي إلى الفردية، وقلة فرص العمل وزيادة البطالة نظراً لإحلال التكنولوجيا محل العمالة، واختفاء الخصوصية وتسطيح المعلومات، مما يترتب عليه ضياع الهوية الثقافية للشباب، ومن ثم انهيار القيم والأخلاق. ومن الناحية الاجتماعية يري هذا الاتجاه أنها تؤدي إلى العزلة وانسحاب الشباب من دائرة العلاقات الاجتماعية بما تؤدي إلى زيادة الجريمة والعنف والانحراف بين الشباب (أبوجادو،2000، ص70).

كما ظهر مؤخر مدخل آخر وهو المدخل المعتدل الذي يرى أن تكنولوجيات الاتصال مجرد أدوات صممت لتيسير حياة الفرد، وهي مكملة للاتصال الشخصي (أبو جادو،2000، ص70). ويرى أنصار هذا المدخل أنه عند ظهور وسيلة اتصال جديدة بإمكانات متعددة أكبر من الوسائل القديمة يبدأ الجدل حول تأثيرات هذه الوسيلة على استخدام الوسائل الأخرى وعلى نمط الحياة (كاكو، ترجمة خرقان، 2001، ص23- 24).

وبغض النظر عن هذه الاتجاهات والجدل القائم بينها، يبقى الأكيد والثابت أن هناك صلة وثيقة بين ارتباط الإنسان بمحيطه الاجتماعي واستقامة سلوكه ودرجة الفاعلية والإنتاج، فكلما كانت علاقة الإنسان بمحيطه وثيقة كانت أقرب إلى الاستقامة والصلاح في سلوكه وسيرته، بينما يؤدي الفتور في العلاقات الاجتماعية إلى ظهور ونمو السلوكيات المنحرفة (مخيمر، 1986، ص8-11). كما أنه من المؤكد بأن لتكنولوجيا الاتصال الحديثة - التي أصبحت تمثل متغيرا ثابتا في حياة الأفراد وخاصة المراهقين- مثل كل تكنولوجيا أثارا مرغوبة وغير مرغوبة، وفي بعض الأحيان تصبح التأثيرات غير المرغوبة مدمرة لدرجة

تهدد بإلغاء فوائدها المنشودة (مخيمر، 1986، ص12). لذلك يشدد الباحثون على ضرورة الوعي بمخاطرها وممارسة رقابة واعية على مستخدميها من الأطفال والمراهقين.

3 . مناقشة النتائج

1.3 تكنولوجيات الاتصال الحديثة والسلوك الاجتماعي

لقد كانت عملية التفاعل بين التكنولوجيا والسلوك الاجتماعي محل اهتمام وبحث كثير من المختصين في مجال العلوم الاجتماعية، حيث أن هناك علاقة متبادلة داخل ثقافة المجتمع بين الأجزاء والعناصر المكونة له. فالسلوك الاجتماعي- بشكل عام - وعلى حد زعم ستيوارد (Steward, 1988)، يتأثر بشكل كبير ومباشر بالوسائل التكنولوجية المختلفة، فالوسائل التكنولوجية المتعددة تلاقي استجابة ثقافية محددة، فتتم عملية تأثر وتأثير متبادلة بين التقنية المستخدمة والسلوك الاجتماعي. ولا شك بأن التكنولوجيا الحديثة، وما تمخضت عنه من تطور شامل وكبير خلال العقود القليلة الماضية من الزمن، 64).

ومن خلال عرضه ومراجعته لعدة أدبيات متعلقة بالتكنولوجيا وتأثيرها على سلوك الأفراد، ذهب باجان Bajan 1998 إلى أن التكنولوجيا والتقنيات الحديثة مثل الإنترنت، الهاتف المحمول، والوسائل الصوتية والبصرية المتحركة وغيرها من هذه التقنيات الحديثة قد أثرت بشكل كبير على حياة الإنسان وسلوكه وطريقة اتصاله بالآخرين، والتي أشارت أيضا إلى ارتباطها بالمعايير الاجتماعية والسلوك الاجتماعي (Carol Cooper, 2009, p 6).

كما تؤثر تأثيرا كبيرا على العلاقات الاجتماعية سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، فمن الملاحظ أن التغيرات التي تحققت في مجال تقنية الاتصالات قد سمحت بقدر كبير من تبادل المعلومات وخدمات الاتصال والترفيه والتسلية والتثقيف، وذلك مع انتشار الفضائيات والأقمار الصناعية التي أدت إلى تقوية وتوسيع شبكات الاتصال وظهور أنماط جديدة من الاتصال تسمح بها التقنيات الحديثة مثل: الاتصال عن طريق الكابل (Cable) وظهور خدمات الفيديو تكست، التي تستخدم في أغراض عديدة كممارسة الألعاب الذهنية والتعليم عن بعد.

2.3 العلاقات الاجتماعية الإلكترونية

لقد أفرزت هذه التكنولوجيا نوعا جديدا من العلاقات الاجتماعية، تعرف بالعلاقات الاجتماعية الإلكترونية وهي "جميع أوجه الاتصال الإنساني التي تتم في المجتمع بين أبناء المجتمع الواحد أو المجتمعات الإنسانية ككل وتتم من خلال وسائل اتصال إلكترونية "ويعرفها الباحثون بأنها "مجموعة التفاعلات والعلاقات والروابط الإنسانية الموجودة في المجتمع وتتمثل في الصداقة والتعارف والزواج والمراسلات والمشاركات بين أبناء المجتمع الواحد أو المجتمعات الإنسانية ككل وتتم من خلال وسائل اتصال إلكترونية" (بدوي،1999، ص82).

أن وسائل الاتصال التي أتاحتها تكنولوجيا الاتصالات قد أثرت على طبيعة العلاقات الاجتماعية في ثلاث اتجاهات هي (بدوي،1999، ص83):

- تكريس العزلة والتفتت الجماهيري: ويبنى هذا التصور على أن ظهور خدمات الاتصال الجديدة التي توجه رسائل متخصصة تلبي الميول والنزعات الفردية مثل: الإنترنت والهاتف المحمول وزيادة الإقبال الشديد من جانب الأفراد عليها وامتلاكها والاستعاضة بها عن وسائل الاتصال المباشر مع أفراد آخرين، مما أدى إلى تكريس العزلة والتفتت الجماهير.
- تكريس الهيمنة من خلال الاندماج: ويقوم هذا التصور أو الاتجاه على تركيز وسائل الاتصال في كيانات ضخمة وملكية مشتركة ومتعددة الجنسية، وهناك أسباب عديدة لزيادة الاتجاه نحو الهيمنة منها قوانين الضرائب، والرغبة في تحقيق الاستقرار المالي، والوقاية من مخاطر المستقبل، والقضاء على الشركات المنافسة.
- التوافق بين التكنولوجيا القديمة والحديثة: وبني هذا التصور على أن تقوم التكنولوجيا الجديدة بسد جوانب النقص في التكنولوجيا القديمة، وتلبية الحاجات الفردية، دون إهمال الإحساس بالمشاركة العامة والأهداف القومية في إطار عملية مستمرة من الاستكشاف العقلي، والمناظرات المفيدة التي تتيح تبادل الآراء والخبرات.

وتؤثر تكنولوجيا الاتصالات في العلاقات الاجتماعية الإلكترونية في مجالات عديدة منها الزواج الإلكتروني والصداقة والتعارف الإلكتروني، والتفاعل والتواصل الإلكتروني.

خاتمة

حاولنا من خلال هذا البحث تقديم إضافة علمية متواضعة لتوضيح الأهمية التي تمثلها المراهقة في النمو الإنساني وخصوصية المرحلة، والإلمام بمختلف جوانب النمو الاجتماعي للمراهق وحاجاته الاجتماعية ودور العلاقات الاجتماعية في صقل وتكوين الراشد الذي سيتشكل عند نهاية المرحلة، ونسلط الضوء على مدى تأثرها بتكنولوجيا الاتصال الحديثة التي اقتحمت كثيرا من النواحي الاجتماعية في حياة المجتمعات الحديثة، حيث جاءت حاملة معها جملة من التفاعلات السلوكية الثقافية المرتبطة بها، والتي أسهمت وتسهم بشكل مباشر في التأثير على الفرد والأسرة والمجتمع، وذلك بحكم كونها مظهرا من مظاهر التغير المادي الذي أصاب كثير من المجتمعات المتحضرة، فقد أثرت تكنولوجيا الاتصال بشكل كبير على عملية التفاعل الفردي والجماعي داخل المحيط الأسري وداخل المحيط الاجتماعي للمجتمع الأكبر متجاوزة بذلك حدود الزمان والمكان، وهي ظواهر يجب مواكبتها بأبحاث ودراسات تجاري تطورها المذهل.

رغم وتيرة تطورها السريعة تحاول الأبحاث العلمية من مختلف التخصصات تقصي آثار تكنولوجيا الاتصال الحديثة على مستخدميها، حيث تعددت المقاربات بتعدد التخصصات، ومع أنه يصعب حصر هذه الآثار لكنه يمكن تصنيفها الى سلبية وإيجابية.

على الصعيد الفيزيولوجي أكد الأطباء صعوبة حصر أخطار تكنولوجيات الاتصال الحديثة الصحية التي تتزايد بين الأطفال والمراهقين مثل أخطار الإشعاع والموجات الكهرومغناطيسية التي ترفع احتمالات الإصابة بالسرطان، إضافة إلى الصداع واضطرابات النوم والتأثير على البصر وعلى قدرة الإنسان على التركيز (Cooper, 2009, p5).

أما الآثار النفسية فلا ينكر الباحثون دور هذه الوسائط في تخفيف الشعور بالعزلة والوحدة لكنهم يحذرون من الاستخدام المفرط الذي يؤدي إلى الإدمان وإلى ظهور أمراض نفسية جديدة مرتبطة بهذه الوسائط مثل السايبر فوبيا أو القلق الكمبيوتري والنوموفوبيا وهو رهاب فقدان الهاتف المحمول أو فقدان الربط بالشبكة (همشري،2003، ص169).

أما على الصعيد الاجتماعي يرجع العلماء ظاهرة إدمان هذه التكنولوجيا إلى أنها تسقط أمام الفرد كل العوائق والحواجز الاجتماعية والدينية التي تحول دون إشباع رغباته،

فالرقابة الاجتماعية أصبحت على درجة من الصعوبة بسبب هذه التكنولوجيا خاصة بعد اندماجها في الهاتف المحمول الذي أصبح يتيح للفرد إضافة إلى المكالمات الهاتفية تصفح الإنترنت والتصوير وغيرها، وهو ما تسبب في حالات كثيرة من انتهاك الخصوصية، وتصوير أشخاص دون إذنهم وتداول صورهم عبر الهاتف المحمول أو الإنترنت، وكذا تداول مواد غير لائقة في ما شكل نوعا جديدا من الجرائم. فالصور العارية متاحة على الشبكة للأطفال والشباب ويسهل تحميلها على الهاتف، وبالتالي يجد الشاب أنها أشبعت رغبات كان يجد صعوبة في إشباعها فيرتبط بمصدر الإشباع، وذلك نظراً لغياب الرقابة على الشبكة والذي طالما لعب الأبوين دوراً أساسياً في حماية الأخلاق والمجتمعات (Corinne Martin,2003 P 9).

وعن الآثار السلبية لتكنولوجيا الاتصالات على بنية المجتمعات يرى البعض أنها تعمل على تفكك المجتمعات وزيادة البطالة والعنف وانتشار الجريمة وابتكار أساليب جديدة لتنفيذها وانتشار الأفكار الهدامة واندثار اللغات وتهديد الأمن العالمي وزيادة الحروب وانتشار الأسلحة الفتاكة، وسيطرة المجتمعات الغنية على المجتمعات الفقيرة، وزيادة عمليات السرقة وضياع حقوق الناشرين والمؤلفين وتقليص الخبرات المشتركة، وبالتالي ضياع هوية المجتمع وصعوبة الحفاظ على القيم (Corinne Martin,2003, p 3-6).

وعن الآثار الاجتماعية والثقافية لثورة المعلومات يؤكد الباحثون في مجال الاجتماع أن هذه الثورة سوف تمكن الدول المتقدمة أن تملى الثقافة وأنماط الاستهلاك واللغة على الآخرين بما يمكن أن يؤثر مستقبلاً على هوية هذه المجتمعات، هذا بالإضافة إلى ما تسببه من تنميط المعلومة (Carol Cooper, 2009, p9).

المراجع

1.أحمد محمد صالح، "المحمول والقيم الجديدة"، مجلة الهلال، القاهرة، مصر، عدد فبراير2005، ص69-75.

2.أنس شكشك، "شخصية المراهق"، دار شعاع للنشر والعلوم، حلب، سوريا، 2010.

3.حامد عبد السلام زهران، "علم نفس النمو: الطفولة والمراهقة"، دار الفكر الجامعي، القاهرة، مصر، ط 5، 1990.

4.حسن عماد مكاوي، 2009. " تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات"، الدار المصرية اللبنانية، ط5.

5.حسن سيد مكاوي، 2004. ليلى حسين السيد، "**الاتصال ونظرياته المعاصرة**"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط5،

6. شريف درويش اللبان، 2010. " تكنولوجيا الاتصال والمجتمع"، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط 2.

7.صالح محمد علي أبو جادو، 2000. " سيكولوجية التنشئة الاجتماعية"، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط 2.

8.صلاح مخيمر، 1986. "تناول جديد للمراهقة"، المكتبة الانجلو مصرية، مصر.

9.علياء سامي عبد الفتاح، 2011. "الانترنت والشباب: دراسة في آليات التفاعل الاجتماعي"، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط 2.

10. عمر أحمد همشري، 2003. "التنشئة الاجتماعية للطفل"، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.

11. فاطمة بدوي، 1999. "تقنيات الاتصال الحديثة: مقاربة ثقافية/سوسيولوجية"، بيروت، دار مكتبة الجامعة اللبنانية، لبنان.

12. محمود عودة، 2004. "ظاهرة المحمول: تحليل اجتماعي، أسس علم الاجتماع"، مكتبة الحرية، القاهرة.

13. ميتشو كاكو، 2001. رؤي مستقبلية: كيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين، ترجمة سعد الدين خرقان، سلسلة عالم المعرفة، العدد 70، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يوليو 2001.

14. نبيل عبد الهادي، 2013. "السلوك الاجتماعي"، دار اليازوري، عمان، الأردن.

15. Cooper Carol, 2009."Generation net and the cell phone: the blurring of interpersonal and mass communication», American Communication Journal, vol. 11, no.1, spring, p 6.

16. Martin Corinne, 2003. "Représentations des usages du téléphone portable chez les jeunes adolescents", dixième colloque bilatéral franco-romain, première conférences internationale francophone en sciences de l'information et de la communication, Bucarest, 28 juin -2 juillet.

17. Martin Corinne, 2003." Téléphone portable chez les jeunes adolescents et leurs parents : quelle légitimation des usages ?", *Deuxième Workshop de Marsouin* 4&5 décembre 2003, ENST Bretagne, Brest.

18. Valente Thomas w & Johns Hopkins, 1993. "Diffusion of innovations and policy Decision making", *Journal of Communication***,** Vol. 43. Winter 1993.